

## فاطمة الزهراء عليها السلام: جهادها والأيام الأواخر



### محاور الموضوع

### الهدف:

التعريف ببعض جهاد فاطمة، والكشف عن هذا الجانب المطوي من حياتها، إضافة إلى شدة فرقتها على أبيها عليه السلام.

١. غرفة من بحر فضلها.
٢. قدوة النساء المجاهدات.
٣. ومضات من جهاد فاطمة عليها السلام.
٤. حزنها على أبيها عليه السلام.

### تصدير:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «وأما ابنتي فاطمة فإنها سيده نساء العالمين من الأولين والآخرين....».

### غرفة من بحر فضلها:

لا يخفى ما لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من منزلة عند الله تعالى، وعند أبيها عليه السلام فهي - كما ورد عنه عليه السلام: «سيدة نساء العالمين»<sup>(١)</sup> وذكر ابن الصبّاغ المالكي عن مجاهد، قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو أخذ بيد فاطمة، فقال: «مَنْ عرف هذه فقد عرفها، وَمَنْ لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي. فمن أذاها فقد أذاني، وَمَنْ أذاني فقد أذى الله»<sup>(٢)</sup>.

### قدوة النساء المجاهدات:

إذا رأينا في مجتمعا

المقاوم من النساء من يستقبلن إخوتهنّ من الجرحى والشهداء بالزغاريد والصبر والاحتساب، ومن يجهّزن آباءهنّ وأبناءهنّ وإخوتهنّ فإننا نعلم أنّ هذا من أسباب ظفر هذه المسيرة، ومن أسرار التوالي الدائم للانتصارات الإلهية المهداة لهذه المقاومة المجاهدة.

ولكن، إذا جاز التساؤل عن سرّ هذه القوة، فإنّ الجواب هو اقتداؤهنّ بالسيدات الكاملات المائلات بعنفوان الصمود وشموع الإباء، صبراً، وشكراً، وفاعلية في ميادين الجهاد، وعلى رأس هؤلاء السيدات تقف زينب الكبرى بطلة كربلاء، ومن خلفها أمها التي جسّدت أمثلة الجهاد.

### ومضات من جهاد فاطمة عليها السلام:

روى أحمد في مسنده أنّه لما انتهت فاطمة عليها السلام وصفيّة (عمة النبي) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد معركة أحد، ونظرت إليه، قال لعلي عليه السلام:

«أما عمّتي فاحبسها عني، وأما فاطمة فدعها..»

فلما دنت فاطمة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله ورأته قد شجّ وجهه وأدمي فوه، صاحت وجعلت تمسح الدم، وتقول: «اشتد غضب الله على مَنْ أدمى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>(٣)</sup>.

«وكانت فاطمة عليها السلام تحاول تضמיד جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وقطع الدم الذي ينزف من جسده الشريف، فكان زوجها يصبّ الماء على جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تغسله. ولما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة حصير وأحرقتها، حتى صار رماداً فنزّته على الجرح حتى انقطع دمه»<sup>(٤)</sup>.

وكانت يوم الخندق تخبز لأبيها عليه السلام مؤثرة إياه على ولديها. وعندما جاءته به قال عليه السلام: «أما إنها لأوّل طعام دخل في فم أبيك

(٣) أحمد بن حنبل في مسنده، ج ٥، ص ٢٣٤.  
(٤) فضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد الفيروزآبادي، ج ٢، ص ٢٦١.

(١) الطحاوي في مشكل الآثار، ج ١٠، ص ٤٨، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، ج ٢، ص ٣٩، والحاكم الحسكاني في مستدرک الصحيحين، ج ٢، ص ١٧٠.  
(٢) ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ص ١٤٦، باب ذكر البتول.



**منذ ثلاث<sup>(١)</sup>** وتذكر الروايات أنها **عليها السلام** خرجت مع أبيها **عليها السلام** يوم فتح مكة، وشهدت مع أبيها وبعلمها حامل اللواء زهو نصر الله بالفتح والقضاء على الوثنية في بيت الله وحرمة.

هذه بعض المجريات التي تظهر رسوخ قدم فاطمة **عليها السلام** في الجهاد، في كل موقع يقتضي الواجب، ولقد عكس ذلك تجسيدها للدور الأصيل الذي أناطه رب العزة بالمرأة. فهي بالقدر الذي كانت فيه حريصة على أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل (أجنبي) كانت مقدمة ومندفة في أداء أدوار الجهاد في ميادين القتال أمام الأعداء. ثم بعد ذلك ما اضطلعت به من مسؤولية منع اضطرام أوار الفتنة، ولو على حساب حياتها وحساب جنينها، عندما تصدّت لحرق البيت بنفسها. وكذلك، من خلال دفاعها عن الإرث النبوي في الرسالة الإلهية، من خلال المواجهة المباشرة في خطبتها في المسجد النبوي، وهي التي بيّنت فيها بعض أسرار التشريع، ودافعت بالتالي عن الأصول وعن حريم الولاية.

### حزنها على أبيها **عليها السلام** :

من المعلوم أنّ فاطمة **عليها السلام** كانت آخر من كان له عهد بأبيها

(١) كنز العمال للمنتقى الهندي، ج ١، ص ١٤٤٨.

بعد علي **عليه السلام**، حيث أسرّ لها فبكت طويلاً ثم أسرّ لها ثانية فتهلّل وجهها. وعندما سئلت عن ذلك قالت إنه قال لها: «بنية، قولي: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾**». ثم قالت: إنه أخبرني أنني أول أهل بيته لحوقاً به، وأنه لن تطول المدة لي بعده حتى أدركه، فسرى ذلك عني<sup>(٢)</sup>.

وبالفعل، فلم تبق الزهراء بعد أبيها **عليها السلام** سوى شهر معدودة، قضتها بالبكاء، والنحيب، والأنين، حتى عدّت من البكائين. ولم تُر ضاحكة قط<sup>(٣)</sup>. وذات يوم، دخلت أم سلمة على فاطمة **عليها السلام**، فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله **عليها السلام**؟ قالت **عليها السلام** : «أصبحت بين كمدٍ وكرب؛ فقد **النبى **عليه السلام****»<sup>(٤)</sup>.

وروي أنّه: لما قبض النبي **عليه السلام** امتنع بلالاً عن الأذان، قال: «لا أؤذن لأحد بعد رسول الله **عليه السلام**».

وإنّ فاطمة **عليها السلام** قالت ذات يوم: «إنّي أشتي أن أسمع صوت مؤذن أبي **عليه السلام** بلال، فبلغ ذلك بلالاً،

فأخذ يؤذن، فلما قال: الله أكبر، ذكرت أباه وأيامه، فلم تمالك من البكاء. فلما بلغ إلى قوله: أشهد أنّ محمداً رسول الله **عليه السلام** شهقت فاطمة **عليها السلام** وسقطت بوجهها وغشي عليها. فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله **عليه السلام** الدنيا، وظنّوا أنها ماتت. فقطع أذانه ولم يتمّه، فأفاقت فاطمة **عليها السلام** وسألته أن يتمّ الأذان فلم يفعل، وقال لها: يا سيّدة النسوان، إنّي أخشى عليك ممّا تنزلي به بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك<sup>(٥)</sup>.

وعن أنس، قال: «لما فرغنا من دفن النبي **عليه السلام** أتيت إلى فاطمة **عليها السلام**، فقالت: كيف طاوعتكم أنفسكم على أن تهيلوا التراب على وجه رسول الله **عليه السلام**؟ ثمّ بكت<sup>(٦)</sup>».

وقد استشهدت على أشهر الروايات في الثالث من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة للهجرة. فعن الصادق **عليه السلام** : «أنها قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء ثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة للهجرة<sup>(٧)</sup>».

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: «وقبض النبي ولها يومئذ ثمانى عشرة سنة وسبعة أشهر<sup>(٨)</sup>».

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) ابن الأثير في الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٢٢. وابن سعد في الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٩. ومسنّد أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٢٨٢.

(٤) طبقات ابن سعد، ج ٢، القسم ٢، ص ٨٤، وحلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٣.

(٥) بحار الأنوار للمجلسي، ج ٤٢، ص ١٥٦.

(٦) البحار، ج ٤٢، ص ١٥٧.

(٧) أسد الغابة لابن الأثير، ج ٥، ص ٥٢٤.

(٨) دلائل الإمامة للطبري، ص ٤٥.

(٩) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٢٥٧.